2021

الإفـادةُ الجليةُ من الـهجرةِ النبويـة

تصميم / أبوالحسن الحناوى

مقدمة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه

شهر الله المُحرَّم هو بداية السنة الهجرية ، يتذكَّر المسلمون بحلوله ذلك الحدث التاريخي العظيم ، الذي قلَب موازين التاريخ ، وغيَّر وجه البشريَّة إنَّه حادث الهجرة النبوية المباركة ، من مكَّة المشرَّفة إلى المدينة النبويَّة المنورة على منورها الصلاة والسلام!

تلك الهجرة كانت سبيلاً إلى إنشاء الدولة الإسلامية ؛ حيث شعَّ نور الإسلام في الأصقاع ، ودخل النَّاسُ في دين الله أفواجًا.

وقد استنبط العلماء الكثير من الدروس والعبر والفوائد الجمة ، التي يستفيد منها الأفراد وعامة الأمة ، في شتى مجالات الحياة ، الأخلاقية منها ، والسياسية ، والإجتماعية ، والعسكرية ، والدينية الى آخر تلك النواحي!

والمتأمل الحاذق في سيرة الهجرة النبوية يلحظ حِكَماً باهرةً غير المعهودة والمكرورة والمتداولة ، وذلك ما نسعى اليه ، تبيان وتسليط الضوء علي الفوائد والدروس غير المنتشرة والمستهلكة من قبل بإذن الله تعالى!

أسأل الله العون والتوفيق لتقديم كل جديد بغية الإفادة والإستفادة ، والله ولى ذلك والقادر عليه.

أخوكم في الله / أبوالحسن

الدروس المنتشرة للهجرة

حينما نبحث عن دروس الهجرة المستفادة ، تكاد تكون متطابقة رغم قلة عددها ، فالكثير لا يجهد نفسه في البحث والتنقيب عن الجديد.. فتجد العبر (على أهميتها) محصورة في:

- حُسن الصحبة
- حفظ الله لنبيه وتأييده له
- التضحية في سبيل الدعوة (بالنفس والأهل والمال والوقت)
- اختيار الرفيق المناسب للرحلة ، كذلك الفدائي والدليل!
- عدم تسلّل اليأس إلى قلب النبيّ الكريم حينما تعرّض للأذى من قومه.
- التخطيط الجيد كان له دورٌ كبيرٌ في إنجاح الهجرة النبوية.
- ضرورة الجمع بين الأخذ بالأسباب مع التوكل على الله والثقة به.
- دلت الهجرة النبوية على أهمية وفضل ودور المسجد.

مفاهيم ومعانى هامة للهجرة

- المعني المتعارف عليه للهجرة .. هو مصطلح يشير إلى انتقال الناس أفرادا أو جماعات من موطنهم الأصلي إلى مكان آخر، والاستقرار فيه بشكل دائم أو مؤقت بحثا عن مستوى أفضل للعيش والسكن والأمن.

- وقد انتهت الهجرة لقول رسول الله صلى الله عليه وسلّم: " لا هجرة بعد الفتح ".

ـ ولكن يمكن الآن تحصيل بعض معانيها ، وتطبيق الكثير من خصائصها، لأن المفهوم العام شرعاً هو :

✓ هجرة المعاصي وما يُعْبَد من دون الله ..

وقد بين هذا المعنى رب العزة فقال: ﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾ كذلك صرح به المصطفى صلى الله عليه وسلم حيث قال: " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه " حديث متفق عليه!

✓ هِجْرة العُصاة ، ومُجانبة مُخالطتهم

وفي هذا المعني يقول المولى عزوجل: ﴿ وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾. والهجر الجميل هو: الذي لا عتاب فيه.

✓ هجرة القلوب إلى الله تعالى

من معاني الهجرة هجرة القلوب الى الله تعالى والإخلاص في التوجُّه إليه في السرِّ والعلانية ، قال النبي صلى الله عليه وسلَّم: " فمَنْ كانت هجرته إلى الله ورسوله ، فهجرتُه إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لِدُنيا يصيبها أو امرأة يتزوَّجها فهجرته إلى ما هاجر إليه"

✓ التحول الى مكان آمن ، لإقامة شعائر الدين

وهي انتقال المسلم من مكانٍ إلى مكانٍ آخرٍ، فينتقل من بلاد الكفر التي لا يستطيع فيها إقامة الدين وأحكامه فيها ، أو بلاد عم الظلم بها وطم ، يخاف على عرضه وأهله فيها ، وتطبيق شعائر دينه ، إلى بلدٍ آخر يأمن فيها على أهله وماله ويستطيع أن يقيم شعائر دينه دون انتقاصٍ أو اعتراضٍ ، وهذا النوع هو ما طبّقه النبيّ عليه الصلاة والسلام وأصحابه حين هاجروا من مكة إلى المدينة.

هجران المنهيات والمنكرات
إلى ما يحبه الله ورسوله
من الصالحات والحسنات!

- فهل أعمالنا وسلوكنا وأخلاقنا ومعاملاتنا وسائر أحوالنا تعكس صورة الإسلام أو تعكس فهمنا الصحيح للهجرة حتى يُغيّر الله ما بنا من حال الذل إلى العز، ومن حال الفرقة إلى حال القوة والاجتماع والمحبة؟

أنواع الهجرة فى الإسلام

لا تقتصر الهجرة في حياة المسلم على الهجرة لترك البلاد إلى غيرها ، ولكنّ الهجرات المشروعة في الإسلام كثيرةً ، منها:

- الهجرة لطلب العلم ، أو طلب الرزق.
- الهجرة سياحةً في الأرض من أجل المتعة و الترفيه.
- الهجرة لزيارة الأماكن المقدّسة والتاريخية.
- وقد تكون الهجرة للحجّ في سبيل الله.
- وهناك الهجرة للجهاد في سبيل الله ، وهو أعلى مراتب الهجرة وأكرمها عند الله أن يهاجر المرء مجاهداً في سبيل الله.

دروس معتبرة من الهجرة النبوية

❖ لم تكن الهجرة طلبًا للراحة ، ولا هربًا من العدوِّ..

بل كانتْ تحمُّلاً لمشاقّ الدعوة وأعبائها ، وفوق هذا وذاك كانتْ بأمرٍ من الله تبارك وتعالى!

❖ كانت الهجرة للبحث عن أرضٍ صالحةٍ للدعوة

اشتدت معاناة الصحابة ، من الاضطهاد والقتل والتشريد على أيدي صناديد قريش وزبانيتهم ، أمر النبي الكريم صحابته بالهجرة الأولى إلى أرض الحبشة (أرض السلام) ، فتلك أرض لا يُظلم عند مَلكها أحد.

ولما عانى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه أشد أنواع المرارة والقهر والظلم، أمره الله بالهجره الى المدينة المنورة لتنطلق منها الدعوة الى الله.

- الهجرة كانت بأمر من الله
- لتحمل مشاق وأعباء الدعوة
- والبحث عن أرض صالحة للدعوة
- الهجرة .. بذل وعطاء
- الهجرة .. دعوة في كل مكان وظرف

❖ رسول الله كان القائد القدوة

في رحلة الهجرة ضرب النبي عليه الصلاة والسلام للمسلمين مثلا للقائد العظيم ، كيف كان يعيش معاناة شعبه ، يهاجر كما يهاجرون، يُطارد كما يُطَاردون ، يتعب كما يتعبون ، يحزن كما يحزنون ، يعيش معهم حياتهم بكل ما فيها من آلام وتضحيات ومعاناة.

❖ الدعوة في كل مكان وظرف

رأينا كيف أن الدعوة في كانت في دمّ رسول الله ، لا يُضيعُ فرصةً ، ولا يرتبط بظرفٍ ، إلا ويدعو كل من يستطيع ومن يقابل.

❖ الهجرة بذل وعطاء للدعوة

رأينا كيف كان بذل الصّدّيق وعطاء الصّدّيق وإنفاق الصّدّيق:

- ✓ يأخذ خمسة آلاف درهم .. وهي كل ما يمتلك لينفقها على دعوته
- ✓ وقبلها أنفق خمسة وثلاثين ألف درهم في سبيل الله
- ✓ وظل ينفق في المدينة
- ✓ وظل ينفق وهو خليفة
- ✓ وظل ينفق وهو على فراش الموت

بذل الصديق من جهده ووقته وماله ، لقد اشترى الجنة ، وحُق لرجل له مثل هذه الصفة أن يرضيه الله عزوجل : ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى . الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى وَلَسَوْفَ يَرضى ﴾.

❖ جهد الداعية مع أهل بيته وعشيرته

أرأيتم كيف استعمل الصّدّيق عائلته كلها في سبيل الله؟

- لقد استعمل إبنه عبد الله في نقل الأخبار.
- واستعمل أسماء ابنته في نقل الطعام والشراب.
- واستعمل عامر بن فهيرة مولاه في إخفاء آثار الأقدام.

لقد نقل الصّدّيق حُبّه لهذه الدعوة إلى عائلته وأهله !

ـ بعض الدعاة للأسف يعانون من مرض العزلة عن عائلاتهم ، تجد لهم نشاطًا عظيمًا في خارج بيته ، ثم هم لا يُشركون أقرب الأقربين إليهم في العمل لله ، لا يحرصون على أن يذيقوهم من حلاوة الإيمان التي أحسوا بها هذا غياب كبير للفهم ، وضياع هائل للأولويات ، تعلموا من الصّدّيق، وتذكروا: « كُلُّكُمْ رَاعٍ ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ »

❖ الثبات على الموقف ، والبحث عن الحلِّ الشامل!

- وليس الاقتصار على مفاوضات البدائل التَّرقيعيَّة
- ومناقشات الحلول التخديريَّة الآنية

لقد بدأ الحلُّ الشامل منذ أن عُرض على النبيِّ صلى الله عليه وسلَّم أن يَعْبد إله المشركين عامًا ، ويعبدوا إلَهَه عامًا ، فأبَى ذلك ، ثم تطوَّرَت العروض والمغريات حتَّى وصلَتْ إلى ذروتها مع عتبة بن ربيعة حين حاول أغرائه ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبت على مبدأئه وأبي كل العروض.

❖ أن النصر مع الصبر

قضى رسول الله عليه الصلاة والسلام في سبيل دعوته في مكة ثلاثة عشر حولاً وهو يلاقي:

- نفوساً طاغيةً
- وألسنة ساخرة
- وربما لقي أيادي باطشة

وكان هَيِّناً على الله أن يصرف عنه الأذى جملة واحدة ، ولكنها سُنَّة الابتلاء يؤخذ بها الرسول الأكرم ؛ ليستبين صبره ، ويعظم عند الله أجرُه ، وليتعلم دعاة الإصلاح كيف يقتحمون الشدائد ، ويصبرون على ما يلاقون من الأذى صغيراً كان أم كبيراً.

❖ أن من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه

فإن المهاجرين لما تركوا ديارهم ، وأهليهم ، وأموالهم التي هي أحب شيء إليهم ؛ أعاضهم الله بأن فتح عليهم الدنيا ، وملَّكهم مشارقها ومغاربها.

❖ الوفاء والعرفان بالجميل

- ✓ فرسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينس لخديجة دورها في دعوته حتى بعد مماتها.
- ✓ كذلك حفظ لأبي بكر قدره فجعله صاحبه في السفر.. وقال في حقه: « إنه ليس أحدٌ أمنُّ علي في نفسه وماله من أبي بكر »
- ✓ ولم ينكر لأهل المدينة فضلهم.

❖ دلت الهجرة النبوية على حفظ الله لعباده الصالحين ..

- هل رأيتم رجلاً أعزلاً محاصراً يخرج إلى المجرمين ويخترق صفوفهم فلا يرونه ويذر التراب على رؤوسهم ويمضي ..
- هل رأيتم عنكبوتاً تنسج خيوطها على باب الغار في ساعات معدودة ..
- هل رأيتم فريقاً من المجرمين يصعدون الجبل ويقفون على الباب فلا يطأطيء أحدهم رأسه لينظر في الغار ..
- هل رأيتم فرس سراقة تمشي في أرض صلبه فتسيخ قدماها في الأرض وكأنما هي تسير في الطين ..
- هل رأيتم شاة أم معبد الهزيلة يتفجر ضرعها باللبن.

ـ إن هذه المعجزات لهي من أعظم دلائل قدرة الله تعالى ، وإذا أراد الله نصر المؤمنين خرق القوانين ، وقلب الموازين: ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ﴾.

❖ التأريخ الهجري

التأريخ بالهجرة النبوية مظهر من مظاهر تميز الأمة المسلمة وعزتها . ويعود أصل هذا التأريخ إلى عهد عمر رضي الله عنه .. حيث هدى الله تعالى الصحابة إلى اختيار حدث الهجرة منطلقاً للتأريخ الإسلامي.

❖ العقيدة أم الوطن؟

إنَّ العقيدةَ أغْلى مِن الأرض ، والديار، والأوطان !

وإنَّ الإسلامَ خيرٌ من القناطير المُقنطَرة من الذَّهب والفِضَّة والخيلِ المُسوَّمة والأنعام والحَرْث ، ومِن كلِّ متاع الحياة الدنيا ، يتجلَّى هذا المعنَى بيِّنًا في خروجِ هذا النبيِّ الكريم صلواتُ الله وسلامُه عليه مع صاحبِه الصِّدِّيق رضي الله عنه مهاجرَيْن مِن هذا الحِمى المبارَك ، والحرمِ الآمِن، والأرضِ الطيِّبة.

❖ مكر خصوم الدَّعوة بالدَّاعية أمرٌ مستمرٌ ومتكرِّرٌ

سواءٌ عن طريق التعذيب ، أوالحبس، أو القتل ، أوالحصار ، أو النَّفي ، وعلى الدَّاعية أن يلجأ إلى ربِّه ، وأن يثق به ، ويتوكَّل عليه .. ويعلم أنَّ :

أنَّ المكر السَّيئ لا يحيق إلا بأهله ، كما قال عزَّ وجل: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾.

❖ جواز الاستعانة بالكافر المأمون:

يجوز للدُّعاة أن يستعينوا بمن لا يُؤمنون بدعوتهم ما داموا يثقون بهم ، ويأتمنونهم .. لفعل النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم وأبا بكرٍ، استأجرا مشركاً ليدلهما على طريق الهجرة ، ودفعا إليه راحلتيهما، وواعداه عند غار ثور، وهذه أمورٌ خطيرةٌ أطلعاه عليها ، ولاشكَّ: أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم، وأبا بكر وثقا به ، وأمَّناه.

❖ دور المرأة المسلمة في الهجرة

وقد لمعت في سماء الهجرة أسماءٌ كثيرةٌ ، كان لها فضلٌ كبيرٌ!

- منها السيدة عائشة بنت أبي بكرٍ الصِّدِّيق ؛ الَّتي حفظت لنا القصَّة ووعتها وبلَّغتها للأمَّة.
- وأمُّ سلمة المهاجرة الصَّبور.
- وأسماء ذات النِّطاقين ، الَّتي أسهمت في تموين الرَّسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه في الغار، بالماء ، والغذاء.

❖ وضوح سنَّة التَّدرُّج

حيث نلاحظ أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما تقابل مع طلائع الأنصار الأولى :

- لم يفعل سوى ترغيبهم في الإسلام ، وتلاوة القرآن عليهم.
- فلمَّا جاؤوا في العام التالي، بايعهم على العبادات، والأخلاق، والفضائل.
- فلمَّا جاؤوا في العام التالي؛ كانت بيعة العقبة الثَّانية على الجهاد والنَّصر والإيواء.

تعقيب

إن لدراسة التاريخ في الإسلام وتحليل الأحداث الهامة التي وقعت فيه أهمية كبيرة وفوائد جمَّـة من أهمها أنها تعمل على:

- تثبيت قلوب المؤمنين
- وهي بمثابة الطريق إلى معرفة سِيَر الصالحين والاقتداء بهم
- كما أنها تعطي عبرًا ودروسًا عن السابقين الذين خاضوا الوقائع
- وتُسهَمُ في التفريق بين السُنَنِ الكونية وسُنَنِ التمكين والنصر
- وتُبَشِرُ بنهاية الظالمين والنصروالعزة للمؤمنين الصادقين ولو بعد حين بإذن الله الحكيم العليم.

أخوة الإسلام أسأل الله القبول منَّا جميعاً صالح الأعمال ، وأن ينفعنا بما علمنا وأن يعلمنا بما ينفعنا وأن يزيدنا علماً وفقها في الدين .. اللهم آمين.

أخوكم / ابوالحسن الحناوى

فيينا في 3 من أغسطس 2021